أضـواء من السماء

[نظمت هذه القصيدة أول ديسمبر كانون أول ١٩٥٨]

ليـلٌ، وليسَ هنـاكَ غيـرُ شعـاعِ ... لم يَنْعَـهُ للمُـدلجيـنَ النـاعـي
مـا زالَ وضَّـاءَ السَّنـا في أمـة ... وضلَّ القطيـعُ بها وضل الـراعي
سالتْ على الصحراءِ من عهدٍ مضى ... أضـواؤه ومشتْ إلى الأصْقـاع
يا للمنار السَّمح، قدَ غَشَّى الدُّجى ... متكـامـلَ البنيـانِ في إبـداعِ
دينٌ بنى الإنسـانَ، كَـرَّمَ شـأنَـهُ ... وأقـامَ ركنَ هنـائِـهِ المتـداعي
وإذا تَـقَنَّـعَتِ الـحقَـائـقُ كلُّهـا ... بـرزتْ حقيقتُـهُ بـغيـرِ قِنـاع

* . * . * . * . *

في آسِيا وعلى جـديبِ رِمـالهـا ... شهـدَ الـورى ميـلادَ شعبٍ واعِ
نبتَ الهـدى والحقُّ في جَنَبَاتهـا ... وجرى الضياءُ على لسانِ الداعي
وكما يسيلُ الفجرُ سالَ النورُ مِن ... هَـدْيِ السماءِ على رُبـاً وبقاعِ
ومشتْ مـواكبُـهُ وفي أَقْمـانِهـا ... آيٌ تُـبـلِّغُـهـا إلـى الأسـمـاعِ
مِنْ كـلِّ صنـديـدٍ تضم ضلوعُـهُ ... إحسـاسَ قـديسٍ وقلبَ شُجـاعِ
وإذا الضلالُ طغى على صوتِ الهدى ... فـالسيفُ بعضُ وسائِـلِ الإقنـاعِ

* . * . * . * . *

وكسا الضياءُ الأرضَ في إفـريقيا ... مـا بين غابـاتٍ بها. . . ومـراعِ
بَسَـطت ذِرَاعَيْهـا لِيحْتَضِنَ السنـا ... طَبَّـاً يخـلِّصُهـا مِـنَ الأوجـاعِ

عَـرَفْتُـهُ فتحـاً للبنـاءِ وللعُـلا ... قـدْ جاءَ، لا لمجـرد الإخضاعِ
وتنسّمتْ ريـحُ المنى في زحفِـهِ ... مِنْ بعـدِ حـالـكِ هـونِهـا اللَّذاعِ
فـإذا الوجـوهُ السُّمرُ مِنْ أبنـائهـا ... تَطوي خَضَمَّ البحرِ فـوقَ شراعِ
وتدكُّ خلفَ الماءِ عـرش محَكَّم ... في الناسِ أو مَلِكٍ هناكَ مُـطاعِ

* . * . * . *

يا مَنهلاً عذباً، وكَمْ مِنْ ظامىءٍ ... والمـاءُ يجري منـه قَيد[1] ذراعِ
أيُّ الشـرائع قـدْ حملتَ لعـالمٍ ... متـأرجِـحَ القـانـونِ والأوضـاعِ
إنْ كـانَ همُّهمُ السـلامُ وأمـرهُ ... وسَعى إلى نـاديـهِ منهمْ سـاعِ
فليـأخذوا ممـا لديـك إنِ ابْتَغوا ... إقـرارَ سَلمٍ في الحياةِ مُضـاعِ
أو قـامَ منهمْ بـالإخـاءِ مُـطالبٌ ... فحـديثُـهُ للنـاس محضُ خـداعِ
ليسَ الإخـاءُ شـريعـةً تُمْلى ولا ... عهـداً يُـدَبَّـجُ نصُّـه بِيـراعِ
لكنَّـهُ ـ وكما رسمتَ خـطوطَهُ ـ ... شيءٌ نحِسُّ صَداهُ في الأضلاعِ
وعـلاقَـةٌ يسمـو بهـا الإنسـانُ لا ... كعـلاقَـةِ السـاداتِ والأتبـاعِ

* . * . * . *

هـذا هو الإسـلامُ لا شـرقٌ ولا ... غـربٌ يعـرِّضُنـا لكـلِّ صِـراعِ
واللهِ ما اختلفوا لمصلحةِ الورى ... لـكنَّـهُ خُـلْفٌ عـلى الأطمـاعِ
فـإذا رأوا حقـاً ضِعـافـاً أهلُهُ ... جـاءوه فـانتهبـوهُ بـالإجمـاعِ
والضعفُ لا يحيـا بـأيَّـةِ أمـةٍ ... قـد حُصِّنت مِنْ دينها بقـلاعِ

* . * . * . *

---

(١) قيد: بفتح فسكون، وبكسر أوله: قدر.